جامعة 15 (2011/1433)، 85-110

الفكاهة في أدب الأطفال العربي

رافع يحيى

تلخيص:

إن النظريات التي تناولت الفكاهة كثيرة ركزت في مجملها على عوامل معينة تربطها بالضحك، مثل: الدهشة، التفوق، السيطرة، التناقض في المعنى، التنفيس عن الطاقة الزائدة والرغبات الكامنة. سنبحث في هذه الدراسة أهمية الفكاهة في أدب الأطفال من خلال استعراض أهم نظريات الفكاهة ومن ثم البحث عن مظاهر الفكاهة في أدب الأطفال العربي. الموضوع واسع، هام وشائك، وتأتي هذه الدراسة لتسد بعض النقص الكبير في دراسته ، واعتمادا على بعض الخبرة المتوافرة لدينا في مجالات التربية والأدب بشكل عام وأدب الأطفال بشكل خاص، سنحاول الاقتراب من هذا الموضوع بنظرة إجمالية كلية بينية، بقدر الإمكان، مع التركيز على الجوانب التربوية والأدبية منه على نحو خاص.

ما زالت الفكاهة، باعتبارها ظاهرة إنسانية عامّة، مسألة تستقطب اهتمام مختلف الباحثين في العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة كافّة، وموضوعًا تتقاطع في دراسته حقول معرفية متعدّدة تحاول أن تستجلي جوانبها وتكشف عن ماهيّتها.[1] تهدف مجمل النظريات المطروحة في تفسير الفكاهة إلى فهم العوامل الموثّرة في إحداث الضحك لدى الإنسان.[2] كانت الفكاهة، علاوة على ذلك، من الموضوعات التي تمثّلتها مختلف الحضارات وثقافاتها عبر وسائل فنّيّة مختلفة كان الأدب من أهمّها وأبرزها حضورًا. والأدب الفكاهي من المأثورات الهامة للحضارة العربيّة الإسلاميّة؛ فقد اهتمّ الأدب العربي القديم بالفكاهة، وحفظت لنا المدوّنة الادبيّة جملة من النصوص والأخبار والنوادر التي كان عمادها الأحداث والشخصيات والمواقف الفكاهية. أمّا في

[1] الفكاهة من الموضوعات المميزة للسلوك الإنساني خبرها الإنسان منذ القدم وهي من المسائل التي حظيت باهتمام الفلاسفة والمفكرين أمثال أفلاطون وأرسطو وكانط وشوبنهور وبرجسون. لمراجعة آراء هؤلاء الفلاسفة في الفكاهة، انظر: شاكر عبد الحميد، **الفكاهة والضحك**، (الكويت: عالم المعرفة، 2003)، ص 61- 120.

[2] يُمكننا في هذا السياق أن نعدّد العوامل التالية: الدهشة، التفوق، السيطرة، التناقض في المعنى، التنفيس عن الطاقة الزائدة والرغبات الكامنة. للتوسع في هذه النظريات المعلّلة لدوافع الضحك لدى الإنسان، انظر: אריה סובר, **הומור בדרכו של האדם הצוחק**. הוצאת כרמל,(ירושלים : 2009), עמ 37-18.

تاريخ الأدب العربي الحديث، فقد كان أدب الأطفال من أبرز الآداب الحديثة التي استوعبت الفكاهة بشتى أساليبها ومضامينها واستلهمت موادها لانتاج نصوص أدبيّة تثير الضحك لدى الأطفال. باتت الفكاهة من الموضوعات التي أثارت اهتمام كُتَّاب الأدب الأطفال وأصبحت من الظواهر المألوفة في أدبيات الطفل. نسعى في هذه المقالة إلى دراسة الفكاهة في أدب الأطفال العربيّ بالاعتماد على جملة من النصوص المتوفّرة لدينا، وسنحاول قراءتها من منظور الدراسة البينية مع تسليط الضوء على الجوانب التربوية والأدبية في هذه القصص على نحو خاص. سنبيّن من خلال هذه القراءة أهمية الفكاهة في أدب الأطفال، باللجوء، أوّلاً، إلى أهم النظريات التي تناولت وظيفة الفكاهة في الأدب مثال الوظيفة الاجتماعية، الوظيفة الادراكية والوظيفة النفسية، والبحث، ثانيًا، عن ملامح الفكاهة في النصوص المقدمة للقراء الصغار واليافعين سواء كانت مبتكرة أو مستمدة من الأدب العربي القديم، وسنناقش، أخيرًا، مدى استجابة العناصر الفكاهية الواردة في النصوص للنظريات المستخدمة في تأويل الفكاهة وبيان وظيفتها في الأدب.[3]

وظيفة الفكاهة وأهميتها

يجمع الباحثون على أن الابتسامة تظهر لدى الأطفال قبل الضحك. وقد حصروا تأريخ حدوث تلك الابتسامة في المدة الواقعة مابين الأسبوع الأول أو الثاني من حياة الطفل والشهر الثاني أو الثالث من عمره، بينما يكون زمن الضحكة الأولى للطفل بين ثلاثة أسابيع وستة اشهر من عمره أو اكثر. وتبدأ هذه الضحكة غالبًا عندما يكون بالقرب من والدته ومربيته على وجه الخصوص. يربط بعض الباحثين، من جهة أخرى، بداية الضحك مع فترة الرضاعة لأنّ الضحك يبدأ بابتسامة الطفل في هذه السن المبكرة، إذ تقترن الابتسامة مع شعوره بالراحة

[3] من الدراسات التي اهتمت بالفكاهة في أدب الأطفال حسب النظريات الثلاثة المذكورة، راجع: מירי ברוך, **הומור בספרות ילדים**, מכון מופת,(תל אביב : תשנ"ב).

والشبع[4]. يُمكننا القول إنّ الضحك والابتسامة لدى الطفل يرتبطان منذ البداية بالصور البصرية والمشاهد المرئية أكثر مما يرتبطان بالنشاط اللغوي والألفاظ المنطوقة لديه[5].

تجدر الإشارة إلى أنّ ثمَّة مواقف أخرى من شأنها أن تولّد لدى الطفل انفعال الضحك مثال المواقف التي يؤدّي فيها نوعًا جديدًا من النشاط كالوقوف على القدمين وفقدان التوازن وردَّة الفعل الضاحكة التي تكون تعبيرًا عن تأكيد الذات مع الشعور بالقوّة والتفوق، لأنّه استطاع ولو لفترة وجيزة القيام بعمل جديد[6]. وثمة نوع آخر من الضحك نلمحه لدى الطفل في السنتين الأوليتين من عمره وهو الضحك المقترن بعملية الإغاظة أو المعاكسة؛ فعندما ينفّذ موقفًا مضحكًا أمام والديه متخذًا إيّاه شكلاً من أشكال اللعب التي تُشعره باللذة مُعلّلاً ذلك يؤكد بتفوقه وانتصاره على الكبار[7]. سنعرض في السطور التالية موجزًا لوظائف الفكاهة الرئيسيّة الثلاثة وهي: الوظيفة الاجتماعية، الوظيفة الادراكية، الوظيفة النفسية.

الوظيفة الاجتماعية

يُمكننا أن نُعدّد للفكاهة ثلاث وظائف اجتماعية أساسيّة[8]: أ. التصرف والانصياع حسب توجه الأكثرية الغالبة. ب. التمرد على القوانين الاجتماعية السائدة ج. تقوية العلاقة بين أفراد المجموعة الواحدة وإبراز تميّزها مقارنة مع مجموعات أخرى[9]. تلعب الفكاهة وفقًا لرأي هنري برجسون دورًا اجتماعيا بارزًا، إذ لا وجود للفكاهة في حياة الإنسان إذا كان يعيش منعزلا ومفتقرًا لنظام المجتمعات؛ فالفكاهة، في جوهرها الأساسيّ، تحتاج إلى مرسل ومتلق. يؤكّد

[4] زكريا إبراهيم، **سيكولوجية الفكاهة والضحك** (مصر: مكتبة مصر، د.ت)، ص 15- 16.

[5] ن.م.، ص 30.

[6] ن.م.، ص 35- 34.

[7] ن.م.، ص 35.

[8] רות גונן, "הומור כתוצאה של אי הלימה והפונקציה שהוא ממלא בשירי ילדים לגיל הרך", **מעגלי קריאה**,(1991) , עמ 53-47

[9] אבנר זיו, **פסיכולוגיה של ההומור** (תל אביב : יחדיו, 1981), עמ 172-169.

برجسون، إضافة إلى ذلك، أن لا مضحك إلا فيما هو إنساني أو ينتهج تصرفا أو سلوكا إنسانيًا[10] يتطلب من المرء تعطيل العاطفة، كي لا تتأثر، وترك العمل للعقل وحده[11]. وتمثّل الفكاهة على المستوى الاجتماعي جهازًا تربويًا يؤدب من يشذّ بتصرّفه عن مبادىء المجتمع ويكون عقابه ضحك المجتمع منه لردعه عن تصرفه غير السويّ.[12] من جهة أخرى، تلجأ مجموعات معينة من المجتمع من الانتقام ونقد طبقات أو مجموعات أخرى من خلال الاستعانة بالفكاهة نفسها.

الوظيفة الادراكية

لا بدّ من التنويه بأنّ فهم المضمون الفكاهي شرط أساسي للاستمتاع به، وارتباط فهم الفكاهة بمستوى التفكير يمكن تفسيره بأن هناك وظيفة إدراكية للفكاهة تتعلق بالتطور الفكري في كل مرحلة وأخرى يعيشها الطفل. يمكن تقسيم الوظائف التي تؤديها الفكاهة في المستوى الادراكي إلى وظائف ثلاثة[13]: أ. تسهيل عملية التعلّم والفهم. ب. الفطنة (insight). ج. المتعة والابداع.

أ. تسهيل عملية التعلّم والفهم: يتمّ الاستفادة من الفكاهة في عمليّة التعلّم والفهم من خلال التلاعب اللفظي أو التوريات اللفظية التي يوشّح بها الكاتب نصّه. ففي كثير من الحالات يتضمّن اللفظ الواحد معنيين مختلفين يحفّزان الذهن على الانتقال في لحظة واحدة من معنى إلى آخر، الأمر الذي يثير الضحك لدى الطفل[14]. مما يتداوله الأطفال، على سبيل المثال، الفكاهتين التاليتين المتعلقتين بالفهم الحرفي لبعض الكلمات:" في واحد راح يقطع

[10] هنري برجسون، **الضحك**، ترجمة سامي الدروبي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ،2001)، ص15-14.

[11] ن. م: ص 17.

[12] ن. م: ص 126.

[13] רות גונן، مصدر سابق، ص 51.

[14] زكريا ابراهيم، مصدر سابق، ص 93.

شارع أخذ معاه مقص! في مرة ام جحا قالت له الحليب فار فار ...فأخذ جحا عصا وركض ليضرب الفأر!". نجد في مثل هذه الفكاهات تفوّق اللامعقول على المعقول، وغلبة الطفل على اللغة غلبة تدفعه إلى الضحك لأنّه تمكن منها وسيطر عليها. ويُمكننا في هذا السياق أن نورد مثالاً آخر للألاعيب والفكاهات اللغوية وهو ترديد سريع لعبارة تتضمن حروفًا متشابهة في عبارة واحدة كعبارة خيط حرير على حيط خليل، أو: شريف اشترى شرشف، وأشرف اشترى شرشف طلع شرشف شريف أكبر من شرشف أشرف بشرشفين ونصف شرشف.

ب. الفطنة (insight): نقصد بهذا الاصطلاح أن يفكر الطفل تفكيرًا ناضجًا ويفاجئنا بهذا النضوج. ونمثّل لذلك بالمثال التالي: "أجرى أحد معلمي الصف السادس الابتدائي امتحانا في علم الأحياء لطلابه وكان الامتحان صعبًا؛ فقد أحضر المعلم صورًا لأقدام حيوانات وطلب منهم معرفة أسماء الحيوانات من خلال صور أقدامها. لكن لم يتمكن الطلاب من حل السؤال الصعب وغضب أحدهم وقام مستنكرًا بتقديم ورقة الامتحان للمعلم دون حل ودون اسم، وعندما وصل الطالب عند الباب ناداه المعلم زاجرًا: لماذا لم تكتب اسمك؟! فرفع الطالب بنطلونه حتى ركبتيه، وقال للمعلم وهو يشير إلى قدميه الصغيرتين: اعرف اسمي من رجليّ!!".

ج. المتعة والإبداع: المتعة الناتجة عن فِعْل الفكاهة من الحاجات النفسيّة التي أكّدت عليها مختلف النظريّات التي عكفت على دراسة الفكاهة من الوجهة التربويّة والنفسانيّة كونها الشعور الأول الذي يثيره اللاوعي. تجدر الإشارة إلى أنّ الفكاهة واللّذة يتحقّقان بمدى ملاءمة المادة الفكاهيّة للمستوى الإدراكي للمرحلة العمرية الموجّهة إليها. أما بالنسبة للابداع فالمقصود به أن الطفل حينما يحاول تأليف كلمات أو جمل مضحكة فإنه يعمد على الابداع من أجل خلق مادة فكاهية يُضْحِك بها الآخرين أو قد يضحكه موقف فكاهيّ يعيشه.

الوظيفة النفسية

بات من الواضح أنّ الفكاهة تمنح الانسان اللذة وتخفف عنه الألم الذي تساهم القوانين المحيطة بالانسان في تشكّله. يعتبر سيجموند فرويد، وفقًا لتأويلات نظريّة التحليل النفسيّ، أن الفكاهة والضحك وسيلة للتعبير عن حاجات جنسية مكبوتة في اللاواعي التي تمنع القوانين الاجتماعية والدينية الافصاح عنها، لذلك حينما نعبر عن هذه الحاجات المكبوتة نشعر باللذة الأمر الذي يمنحنا الشعور بالسعادة. الفكاهة، وفقًا لهذه النظريّة، وسيلة شرعية لتجاوز قوانين المجتمع والدين ولتفريغ الحاجات المكبوتة بعبارات ومضامين مشفرّة ومشحونة بتلميحات جنسيّة وفي ذلك تلبية للرغبات الجنسية المكبوتة عند المرسل والمتلقي. كما أن الفكاهة توفّر فرصة للتعبير عن الغرائز العدائية التي لا يمكن التصريح عنها أو ممارستها في العلن بصورة مكشوفة. تستخدم الفكاهة، نتيجة لذلك كلّه، لتقوية الأنا وتعظيمها[15]. بالإضافة إلى ذلك يعتبر أدير كوهن الفكاهة وسيلة لعلاج الطفل من المخاوف التي تسيطر على لاوعيه وتؤدي إلى ضعف في شخصيته. من أجل منع ذلك يقترح كوهن إلى التخلص من المخاوف عن طريق إبعادها من الداخل أي من اللاوعي إلى الخارج أي تصورها خارج مشاعر الطفل لتبدو له على المستوى النفسي بعيدة عنه ولا علاقه له بها ويمكن للطفل أن يقوم بذلك عبر الفكاهة فعندما يضحك الطفل من المخيف كالأسد والكلب والذئب وغيرها من العناصر المخيفة فإنه ينتصر عليها في لاوعيه ويعززر في نفسه الإحساس بأنه انتصر عليها ولم تعد تخيفه بل يضحك منها مما يحرره من سيطرة المخاوف على عقله الباطني ويخلصه من الألم. [16]

[15] פרויד זיגמונד, "ההומור" , **כתבים** (תל-אביב, הוצאת דביר, 1967), כרך ב', ע"מ 217.

[16] אדיר כהן, חיים בצחוק: הומור – **תראפיה הלכה למעשה** (תל-אביב, א , אורן הפקת דפוס, 1994), עמ 19 .

ملامح الفكاهة في أدب الأطفال العربي

التراث النثريّ العربيّ القديم من المصادر الأساسيّة للفكاهة في أدب الأطفال العربيّ.[17] استلهم عدد من كُتّاب أدب الأطفال نصوصًا فكاهيّة عديدة انتقوها من التراث العربيّ خاصّة

[17] للاطلاع على نماذج من الأدب الفكاهيّ عند العرب، راجع المصادر التالية: إبن الجوزي، **أخبار الحمقى والمغفّلين**، تحقيق رضوان جامع رضوان (مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز، 2004)؛ إبن الجوزي، **أخبار الظرّاف والمتماجنين**، تحقيق عبد الأمير مهنا (بيروت: دار الفكر اللبناني، 1990). راجع كذلك: لطفي عثمان الدبس، **الفكاهة عند العرب** (عمان: دار وائل، 2004)، وانظر: أنيس فريحة، **الفكاهة عند العرب** (بيروت: مكتبة رأس بيروت، 1962). انظر كذلك الدراسات التالية:
Ch. Pellát, "Seriousness and Humour in Early Islam," *Islamic Studies* 2 (1963), pp. 353-362; Fedwa Malti-Douglas, "Humor and Structure in Two *Buhalā* Anecdotes: Al-Ğāhiz and al-hatīb al-Baġdādī," *Arabica* 27 (1980), pp. 300-323; Joseph Sadan, "Kings and Craftsmen- A Pattern of Contrasts," *Studia Islamica* 56 (1982), pp. 5-49, Andras Hamori, "A Comic Romance from the Thousand and One Nights: The Tale of Two Viziers," *Arabica* 30 (1983), pp. 38-56; George D. Sawa, "Musical Humour in the *Kitāb al-Aghānī*," *Logos Islamikos: Studia Islamica in Honorem Georgii Michaelis Wickens*, edited by Roger M. Savory (Toronto: Pontifical Institute of Mediaeval Studies, 1984), pp. 35-50; Joseph Sadan, "Kings and Craftsmen, A Pattern of Contrasts: on the History of a Medieval Arabic Humoristic Form," *Studia Islamica* 62 (1985), pp. 89-120; Geert Jan ven Gelder, "Mixturesof Jest and Eatnest in Classical Arabic Literature," *Journal of Arabic Literature* 23 (1992), pp. 83-108, 169-190; Daniel Beaumont, "A Mighty and Never Ending Affair: Comic Anecdote and Story in Medieval Arabic Literature," *Journal of Arabic Literature* 24 (1993), pp. 139-159; Geert Jan van Gelder, "Street-Arabs, Satire, and the Status of Poetry," *Proceedings of the 14th Congress of the Union Européenne des Arabisants et Islamisants*, edited by A. Fodor (Budapest, 1995), pp. 121-132; D. S. Margoliouth, "Wit and Humour in Arabic Literature," *Encyclopaedic Survey of Islamic Culture*, edited by Mohamed Taher (New Delhi: Anmol Publications, 1997), 4, pp. 225-239; Ulrich Marzolph, "'Focusees' of Jocular Fiction in Classical Arabic Literature," *Story-Telling in the Framework of non-Fictional Arabic Literature*, edited by Stefan

أخبار وقصص البخلاء[18] والحمقى[19] والطفيليين[20] مثال قصص جحا[21] وأشعب[22]. سنحاول فيما يلي تفسير الدواعي التي تجعل من قصص فكاهية موجّهة أساسًا إلى الكبار مثال قصص جحا وأشعب والبخلاء تناسب القراء الصغار.

أ. قصص جحا: من أكثر القصص التراثية الفكاهية التي لاقت رواجًا بين الأطفال، وهي قصص متنوعة في مضامينها. تتحدث هذه الحكايات عن ذكاء جحا وقدرته على التخلص من مأزقه تارة وعن غبائه تارة أخرى. حاول بعض الكُتّاب تقديم هذه القصص بأسلوب يتلاءم مع الأطفال. أشارت الكاتبة روز غريب، في مقدّمة كتابها عن جحا، إلى كيفية تعاملها مع قصص جحا وتقديمها للأطفال، تقول الكاتبة: "في هذه المجموعة وضعت أشهر أخبار جحا بأسلوب يوافق الأولاد. قسمتها إلى موضوعين وجمعت تحت كل منهما ما يمكن ربطه

Leder (Wiesbaden: Harrassowitz Verlag, 1998), pp. 118-129; Abdul Ali, "Humour Literature: An Arab-Islamic Legacy," *Hamdard Islamicus* 21 (1998), pp. 47-59; Boaz Shoshan, "Jokes, Animal Lore, and *Mentalité* inMedieval Egypt," *Arabica* 45 (1998), pp. 129-135; Ch. Pellat, "al-Djidd waa'l Hazl," Extract from the *Encyclopaedia of Islam* CD-ROM edition, v.1.1.

[18] راجع: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، **كتاب البخلاء**، تحقيق طه الحاجري (القاهرة: دار المعارف، 1997).

[19] للاطلاع على قصص الحمقى، انظر: عبد الغني العطري، **أدبنا الضاحك** (دمشق: دار البشائر، 1994)، ص 210- 227.

[20] للاطلاع على قصص الطفيليين، راجع: الخطيب البغدادي، **كتاب التطفيل والطفيليين**، تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي (بيروت: دار ابن حزم، 1999). وانظر كذلك الدراسات التالية: عبد الغني العطري، **أدبنا الضاحك**، ص 193- 209؛ رياض قزيحة، **الفكاهة والضحك في التراث العربي المشرقي من العصر الجاهلي إلى نهاية العصر العباسي** (بيروت: ، المكتبة العصرية، 1998)، ص 315-323.

[21] للتوسع في شخصية جحا، انظر: عباس محمود العقاد، **جحا الضاحك المضحك** (القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر، د.ت) ، ص 100- 148؛ فاروق سعد، **جحا ونوادره** (بيروت: دار الآفاق الجديدة ، 1986)؛ حكمت شريف الطرابلسي، **نوادر جحا الكبرى** (بيروت: دار ابن حزم ، 1998).

[22] للتوسع في شخصية أشعب ونوادره، انظر: محيي الدين الطعمة، **عناقيد العنب في نوادر أشعب** (بيروت: دار الجيل، 1992).

بعقدة رئيسية. بذلك أصبحت النكتة القصيرة التي لا تتجاوز صفحة أو نصف صفحة، جزء من قصة يتراوح طولها بين خمس صفحات وعشر أو أكثر من ذلك"[23] لا بدّ من التنويه بداية إلى أنّ كتاب السيدة روز غريّب من المؤلفات الهامّة التي استلهمت نوادر جحا وحكاياته في التأليف للأطفال. والمُطَّلِع على الكتاب يلمس إطالة في السرد قد تنفر القارئ الصغير من إتمام قراءة القصّة. ويتمّ عادة التركيز في قصص جحا على علاقته السيئة بزوجته التي تصرخ عليه وتشتمه لغبائه أو رواية مغامراته ونوادره مع حماره، أو وصف لتصرفاته الغبية التي تنزله دائمًا إلى طبقة الظرفاء الأغبياء. قصّة "والله لن أشتريك" من إعداد الكاتب شوقي حسن من القصص المشهورة التي تصف غباء جحا. والقصّة تروي لنا ما يلي: "أراد جحا أن يشتري حمارًا فذهب إلى السوق وتوقف عند حمار أعجبه، وقال لصاحبه بعد جدال على الثمن: هذا كل ما معي الآن فإما أن تبيعني الحمار أو أنصرف لحالي!! وأخيرًا وافق الرجل ... ومشى جحا يجر الحمار خلفه .. فرآه اثنان من اللصوص، فاتفقا على سرقة الحمار.

تسلّل أحدهما بخفةٍ وفكّ الحبل من رقبة الحمار دون أن يشعر جحا بشيءٍ. وربط رقبته هو بالحبل. كلّ ذلك وجحا لا يشعر بما يجري.

مشى اللص خلف جحا. بينما اختفى اللص الآخر بالحمار. وكان المارّة من الناس يرون ذلك ويتعجبون لهذا المنظر، ويضحكون... وجحا يتعجب في نفسه ويقول: لعل تعجبهم وضحكهم يرجع إلى أنهم معجبون بحماري!!

ولما وصل جحا إلى البيت التفت خلفه إلى الحمار فرأى الرّجل، الحبل في رقبته!!

فتعجب من أمره وقال له: من أنت؟ فوقف اللص باكيًا وأخذ يمسح دموعه قائلاً:

يا سيدي أنا رجل جاهل أغضبت أمي..

قال جحا ثم ماذا؟

[23] روز غريّب. **حكايات جحا** (بيروت: دار الكتاب اللبناني، د.ت.)، ص 4.

قال اللص: فدعت أمي عليّ وطلبت من الله أن يمسخني حمارًا، فاستجاب الله لدعائها، ولما رأى أخي الكبير ذلك أراد أن يتخلص مني، فعرضني في السوق للبيع، وجئت أنت واشتريتني، وببركتك وبفضلك رجعت إنسانًا كما كنت..!!

وأخذ اللص يقبل جحا داعيًا وشاكرًا. فصدقه جحا وأطلقه بعد أن نصحه بأن يطيع أمه ويطلب منها الصفح والدعاء..!! وفي اليوم التالي توجّه جحا إلى السوق ليشتري حمارًا آخر فرأى الحمار نفسه فعرفه !!

اقترب جحا من الحمار وهمس في أذنه قائلاً: يظهر أنك لم تسمع كلامي، وأغضبت أمك ثانيةً، والله لن أشتريك أبدًا...!!".[24]

يحب الأطفال هذا النمط من القصص لأن جحا البالغ يبدو سخيفًا غبيًا؛ ففي القصة السابقة انطلت عليه حيلة المحتالين وسرقا حماره. إنّ غباء جحا يعطي الأطفال الشعور بالتفوق لأنهم يدركون أن هذه الحيلة لا تتمكّن منهم كما حدث لجحا؛ فهم يعتبرون أنفسهم أذكياء وليسوا أغبياء مثال بطل قصّتهم جحا. يُضاف إلى ذلك أن منظر جحا وهو يجر خلفه اللص من رقبته ظانًا إيّاه أنّه حماره يضحك الأطفال لأنه ببساطة مشهد مغاير للواقع يتضمّن مفارقة مضحكة على اعتبار أن ربط الكائن من رقبته وجره سلوك نمارسه مع الحيوانات وحدها كالخيل والحمير والكلاب وغيرها. يتميّز جحا، من جهة أخرى، بالضعف الجسدي وفي ذلك يشبه الأطفال أنفسهم في ضعف قوّة أجسادهم، وانتصاره على الكبار يسعدهم في بعض الأحيان لأنّ ذلك يُعزّز إحساسهم بإمكانية الانتصار على الكبار والتفوّق عليهم.

[24] شوقي حسن، (إعداد). **أجرك لا شيء** (القاهرة: المؤسسة العربية الحديثة ، د.ت.). لقراءة المزيد من نوادر جحا، انظر: شوقي حسن، إعداد، نوادر جحا للأطفال- **قصص أطفال** (القاهرة: المؤسسة العربية الحديثة، د.ت). يضم الكتاب مائة نادرة من نوادر جحا.

ب. حكايات أشعب: يعتبر أشعب من أشهر الشخصيات الطفيلية في الأدب العربيّ. نسجت حوله الكثير من الحكايات التي تناولت شراهته وحبه للطعام واقتحام الحفلات والأعراس والولائم للحصول على الطعام بالكدية والخداع. حكاية "فردة الحذاء وطرق الاحتيال" من حكايات أشعب التي أعدّها الكاتب مصطفى عاشور، تقول الحكاية: " قام البواب في حفلة عرس بمنع أشعب من الدخول مع المدعوّين فابتعد أشعب عن المكان ليبحث عن حيلة يدخل بها. ثم عاد يحمل فردة حذاء في يده ويعلق الأخرى داخل كمه، وقد أمسك بخلّة طويلة ينظف بها أسنانه، ثم اقترب من البواب على عجل وقال له: لقد أكلت في الفوج السابق وخرجت مسرعًا فنسيت فردة حذائي بالداخل فهل يمكن أن تتفضل وتخرجها لي؟ فقال البواب: إني مشغول الآن، ادخل فأخرجها بنفسك، فدخل أشعب، وأكل، وخرج!"[25]

تتميز شخصية أشعب كما نلاحظ من النص بأنها شخصية شرهة وطماعة وذكية تستغل الحيلة من أجل الحصول على الطعام. من الطبيعي أن نكره التطفّل والطمع، لكن أشعب بظرافته وخفة روحه وبراعته في حسن التخلص وسرعة البديهة في المواقف الحرجة استطاع أن يحوّل شراهته وحبه للطعام إلى نوادر وطرائف تسعد الكبار والصغار على حد سواء. يحب الأطفال أشعب لأنه يحاول الحصول على الطعام ولا ييأس من ذلك، ويتصرف أحيانا مثل الصغار خاصة في شراهته وحبّه للطعام. يعتمد أشعب على عقله وينتصر على الكبار بالحيلة وسرعة البديهة وهذا يعتبر أحيانًا قاسما مشتركًا بين أشعب والصغار.

[25] مصطفى عاشور، **اضحك مع أشعب ملك الطفيليين وأمير الطماعين** (القاهرة: مكتبة ابن سينا ، 1990)، ص 10.

ج. قصص الحمقى: من الشخصيات التي تضحك الأطفال شخصية الأحمق وتصرّفه الغبيّ الذي يثير الضحك لديهم ويمنحهم الشعور بالتفوق والذكاء لأنهم ليسوا بحماقته. ومن الأمثلة على تصرفات الحمقى في قصص الأطفال سلوك أبي علي في "حكاية أبو علي" من إعداد الكاتبة روز غريّب: "ربط أبو علي- رسن الحمار بلحيته ونام. وفيما هو نائم مرّ لصٍ من هناك فرأه نائمًا وقد ربط الحمار بلحيته. ولكي يسرق الحمار من غير أن يوقظ صاحبه، أخذ من جيبه سكينًا قصّ بها اللحية ثم هرب بالحمار والرسن ولحية أبي علي بينما كان هذا نائمًا يحلم بالثروة التي تنتظره".[26] وعندما أفاق أبو علي من نومه لم يعرف نفسه فقال: "أبو علي عنده حمار وأنا بلا حمار أبو علي عنده لحية وأنا بدون لحية عجبًا! كيف أكون أبا علي ومع هذا...لست أبا علي... لأني بلا لحية ولا حمار!![27]

د. قصص البخلاء: البخل من المواد التي استلهمها أدب الأطفال من الموروث العربيّ القديم. وللتمثيل على ذلك، نورد النادرة التالية الموسومة بنادرة "لم...لم...لم"، وهي من إعداد الكاتب حسن عبد الله:

"وقف متسول على باب قوم وقال: تصدقوا علي فإني جائع.

فقالوا: لم نخبز حتى الآن.

فقال: لقمه من الطعام.

فقالوا: لم نطبخ بعد.

فقال: شربة ماء.

فقالوا: ما أتانا السّقاء.

فقال: فما قعودكم هنا؟ قوموا وتوسلوا معي؟ "[28]

[26] روز غريّب، **حكاية أبو علي** (بيروت: دار الكتاب اللبناني، د.ت)، ص 10.

[27] ن.م.، ص 12.

[28] حسن عبد الله، **نوادر البخلاء** (بيروت: دار المناهل للطباعة والنشر، 1989)، ص 75.

هـ. قصص أبي نوّاس المضحكة: تعتبر شخصية أبي نوّاس من الشخصيات البارزة في الأدب العربي التي حيكت من حولها حكايات فكاهية متعدّدة مثال حكاية "أبو نوّاس في حظيرة الدجاج"، التي تدور أحداثها حول الخليفة هارون الرشيد الذي أراد أن يضحك من أبي نوّاس؛ فأمر رجاله في الديوان أن يتظاهروا بأنه غاضب عليهم وأرادهم أن يبيضوا عقابًا لهم؛ فأخرج كل واحد منهم من جيبه بيضة. فلما جاء الدور على أبي نوّاس وقف على قدميه ومشى حتى توسط الجميع وصار أمام الخليفة وجهًا لوجه، ثم صار يقول "كاك، كاك، كاك" كما يفعل الديك بين زوجاته من الفراخ، ثم ضرب ابطيه على بعضهما، وصاح بأعلى صوته كما يفعل الديك تمامًا فقال له الخليفة: ما هذا يا أبا نوّاس؟! فقال: عجبًا يا أمير المؤمنين...هل رأيت فراخًا تبيض من غير ديك؟! هؤلاء فراخك وأنا الديك"[29].

لم تكن الفكاهة في أدب الأطفال العربي مقصورة على النصوص التراثية المنقولة أحيانًا والمبسطة أحيانًا أخرى؛ فقد اهتم كُتّاب الأطفال أيضًا بتعزيز قصصهم بشخصيات فكاهية أو أحداث فكاهية من نسج خيالهم وبما يتلاءم مع قدرات الأطفال العقلية واحتياجاتهم النفسية. من الرواد في تقديم قصص فكاهية للأطفال يُمكننا أن نذكر على وجه الخصوص الكاتب كامل كيلاني الذي أصدر ثمان قصص فكاهية للطفولة المتوسطة والمتأخرة، منها على سبيل المثال: عمارة[30]، بنت الصباغ[31]، العرندس[32]، عفاريت اللصوص[33]، حذاء الطنبوري.[34] يغلب على هذه القصص الطابع الشعبي المقدم بأسلوب الحكاية الشعبية كما أن بعضها منقول مع تعديلات من التراث العربي مثال قصة حذاء الطنبوري الآنفة الذكر ونجد بعضها منقولاً من التراث

[29] محمد صديق المزاتي، **أبو نواس في حضيرة الدجاج** (القاهرة: المكتبة المصرية، د.ت.)، ص 11-13.

[30] كامل كيلاني، **عمارة** (القاهرة: دار المعارف ، د.ت.).

[31] كامل كيلاني، **بنت الصباغ** (القاهرة: دار المعارف ، د.ت.).

[32] كامل كيلاني، **العرندس** (القاهرة: دار المعارف، د.ت).

[33] كامل كيلاني، **عفاريت اللصوص** (القاهرة: دار المعارف، د.ت).

[34] كامل كيلاني، **حذاء الطنبوري** (القاهرة: دار المعارف، د.ت).

العالمي مثال قصة عفاريت اللصوص المنقولة مع تعديلات طفيفة من حكاية شعبية ألمانية عنوانها عازفو بريمن[35].

من الموضوعات التراثيّة الفكاهيّة التي آثر كُتَّاب أدب الأطفال تجنّبها في كتاباتهم قضية أصحاب العاهات الجسمانية رغم وفرتها في التراث العربي. يذكر الأستاذ يوسف سدان في كتابه "الأدب الهازل ونوادر الثقلاء" بأن التفكه من أصحاب العاهات كان له رواج في الأدب القديم"،[36] ويعرّف سدان أصحاب العاهات بأنّهم: "المشوهون والعاجزون كالعميان والصم ألخ... فظهور مثل هؤلاء ممن يشذون عن القاعدة شكلاً ومنظرًا، إذا صح تعبيرنا هذا من شأنه أن يثير ضحكًا لدى الأطفال لأن أذواقهم لم تتهذب بعد وتربيتهم الأخلاقية لم تكتمل بعد"[37]. رغم أن هذه العيوب قد تُشكّل مادّة فكاهيّة غنيّة من شأنها إثارة الضحك لدى الأطفال إلاّ أنّها لم تجد طريقها لكتبهم لأنها لا تتفق مع القيم التي يسعى أدب الأطفال إلى تحقيقها.

من يتابع مسيرة تطور أدب الأطفال العربي لا بدّ أن يلاحظ كيف أنّ النماذج القصصية الفكاهية المقدمة لهم ما زالت قليلة وأنّ معظم الاصدارات تغلب عليها الطابع الجدّي لهدف إيصال رسائل تربوية وإنسانية من خلال المضمون الجاد الخالي من الفكاهة. وليست الفكاهة في أدب الأطفال العربي سوى شذرات هنا وهناك وقلما نجد سلسلة فكاهية أو كتابًا كاملا يعتمد في جوهره على الفكاهة، بل إننا في بعض الأحيان تواجهنا جدية مفرطة في كتب الأطفال لا تتلاءم مع عالمهم الطفوليّ، وهذا مصدره، كما ذكرنا، سيطرة التربية على النص الهادف إلى التأديب والتوجيه أكثر من الامتاع مما يمنع من توفّر كتب الأطفال على العناصر الفكاهيّة. لكن يُمكننا أن نذكر عددًا من النماذج الفكاهيّة في أدب الأطفال العربي، وهي على النحو التالي:

---

[35] راجع: فيرا سونجيت، **عازفو بريمن** (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 2000).

[36] يوسف سدان، **الأدب العربي الهازل ونوادر الثقلاء** (كولونيا: منشورات دار الجمل، 2007)، ص 20. راجع كذلك: يوسف سدان، "رسالة في الدمامة لمحمد بن حمزة الكوزلحصاري الايديني وما سبقها من مواقف الأدباء من العاهات والقبح"، **الكرمل-أبحاث في اللغة والأدب** العدد 9 (1988)، ص 7-33.

[37] ن.م.: 20-21.

اللغة الفكهة

من أبسط أنواع الفكاهة في أدب الأطفال توفّر النصّ على كلمات لا تحمل أي معنى لكنها قد تكون موسيقية وتضحك الأطفال خاصة في مراحل الطفولة الأولى. ترد في قصة "طيري وهدي يا فراش" من تأليف الكاتبة آمال كريني[38] العبارات التالية:"ريش رش راش، ريش رش راش طير وهدي يا فراش". الكلمات "راش رش" ليس لها أي معنى لكنها تضفي طابع الفرح في نفوس الأطفال بسبب جمال إيقاعها وسهولة لفظها وارتباطها بالحركة، خاصة أن ما غنته الدجاجة يتكرر على لسان حيوانات أخرى في أحداث مختلفة أخرى في القصة مما يعزّز حضور هذا المقطع الغنائي في النص بصورة متكرّرة تزيد من استمتاع الطفل بها وتقرّب القصّة من أغاني الألعاب. من أبرز أصناف الكلمات تلك المقاطع التي تحاكي أصوات الحيوانات وهي قريبة إلى قلوب الأطفال ويحبون تكرارها وتثير لديهم الضحك والمتعة خاصة أنّهم يحبون كثيرًا تقليد أصوات الحيوانات من باب التفكّه. مثال على ذلك ما ورد على لسان الحمامة والعصفورة والحمار في قصة فراس وأصحابه الثلاثة من تأليف الكاتبة إلهام تابري.[39] تروي القصّة عن الطفل فراس الذي زرع أرضه ولكنّ أحد الحيوانات أكل الزرع ودمّره ممّا دفع فراس إلى البحث عن الفاعل، لكنّ الحيوانات تدافع عن أنفسها كما هو مُبيّن في المقاطع التالية:

"حِمْ...حِمْ... أنا الحمامة.
حِمْ...حِمْ... أكلي قُضامه...
حِمْ...حِمْ... إن كان أكلتها...
حِمْ...حِمْ... يرميني ربي...
حِمْ...حِمْ... في (ها) البحيرة..."

* * *

[38] آمال كريني، **طير وهدي يا فراش** (حيفا: مكتبة كل شيء، د.ت.).

[39] الهام تابري، **فراس وأصحابه الثلاثة** (الناصرة: مطبعة النهضة، 1996).

سي...سي... أنا العصفورة.

سي...سي أكلي سُجوره...

سي...سي... إن كان أكلتها...

سي...سي يرميني ربي...

سي...سي... في (ها) البحيره...

* * *

إي...آه... أنا الحُميّر...

إي...آه... أكلي شعيّر...

إي...آه... إن كان أكلتها...

إي...آه... يرميني ربّي...

إي...آه في (ها) البحيّره...

ومن المشاهد الفكاهيّة الظريفة ما ورد في قصة الرقصة العجيبة من تأليف الكاتبة سناء شباني التي تعالج فيها موضوع تبول الأطفال. نورد فيما يلي واحدة من الفقرات الفكاهيّة التي يظهر فيها التلاعب بالألفاظ: "عبس باسم وقال بحدةٍ: أنا أكره الـ pipi . فكرت "ماما" قليلاً ثم قالت: حسنًا، وأنا مثلك. ولكن من اليوم فصاعدًا سوف أغيّر كلمة pipi .. فما رأيك بكلمة "وي وي". ضحك باسم وهو يردد بدهشة كلمة "وي وي". فقالت ماما": هذا الاسم أفضل، أليس كذلك؟ هزّ باسم رأسه موافقًا. فطلبت منه أن يذهب إلى الحمام ويعمل "وي وي". ذهب إلى الحمام مسرعًا وخرج منه مسرعًا. ثم قال لها وهو يضحك: عملت "وي وي"[40]. يتميّز هذا المقطع بالفكاهة لأنه يعالج موضوع التبوّل عند الأطفال بأسلوب فكه من خلال استعمال كلمات مضحكة ليس لها أي معنى: مثل "وي" "وي"، وفي مشهد آخر من القصة تستعمل الأم كلمات

[40] سناء شباني، **الرّقصة العجيبة** (بيروت: دار المؤلف للنشر والتوزيع، 20

07)، ص12.

أخرى للطلب من ابنها ان يذهب ليبول في المرحاض عندما تمل من استعمال الكلمات "وي وي"، فتستبدلهما بكلمتين جديدتين: "في في"، "ري ري"[41] للدلالة على التبوّل. لكننا لا نستطيع أن ننهي هذا الصنف من الفكاهة دون الإشارة إلى وجود كلمات ذات معنى تثير حس الفكاهة لدى الأطفال في بعض عناوين القصص المقدّمة لهم. نذكر من هذه القصص، على سبيل المثال، قصة الدودة ودودة[42] التي يحمل عنوانها المسجوع كما نلاحظ طابع الفكاهة، أو قصة منقوشة[43] التي يرتبط عنوانها بعالم الأطفال وطعامهم ويخاطب حاجياتهم الفيزيولوجية مما يثير لديهم الفكاهة كرد فعل لحبهم للموضوع المتحدث عنه. ومن الأمثلة على العناوين الفكهة أيضًا نذكر القصص التالية: الدبة دبدوبة[44]، مشمش والفئران[45] كنفوشة وفتوشة[46] حارة ستوتة.[47]

المبالغة

تعتبر المبالغة من الوسائل التي يلجأ كاتب أدب الأطفال إلى استخدامها لتصوير مشاهد فكاهية تثير الضحك لدى الأطفال عبر صياغة مواقف وأحداث تتسم بالمبالغة الشديدة التي تفارق الواقع الذي يعيشه الطفل ويدركه. يُكثّف الكاتب أحيانًا من استخدام وسيلة المبالغة في القصّة الواحدة فيتبع المبالغة بمبالغة أخرى وهكذا دواليك إلى أن يختفي الواقع تمامًا وينقلب النصّ السرديّ إلى نصّ متخيّل تشدّه خيوط الخيال الباهر كما تلفّه مشاهد الفكاهة المضحكة، فتنقل القارئ من متعة إلى أخرى من تذوّق الخيال وإثارة مكامن الضحك لديه. انقلاب النصّ إلى نصّ متخيّل مفارق للواقع يُسرّح اللّذة التي تولّد الضحك لدى القارئ. تُقدّم

[41] ن.م. ص 15.

[42] أحمد سليمان، **الدودة ودودة** (عكا: دار الأسوار، 2007).

[43] رافع يحيى، **منقوشة** (حيفا: مكتبة كل شيء، 2009).

[44] أمل مغربي، **الدبة دبدوبة** (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت.).

[45] ابراهيم عزوز، **مشمش والفيران** (القاهرة :دار نهضة مصر للطبع والنشر، د.ت.).

[46] حسين حمزة، **كنفوشة وفتوشة** (حيفا: مكتبة كل شيء، 2004).

[47] صالح طنطاوي، **حارة ستوته** (القاهرة، دار المعارف، د.ت.).

الكاتبة سونيا النمر في قصّة "قصّة أولّها خيال وآخرها خيال" فكاهة معتمدة في حبكتها الأساسيّة على عنصر المبالغة.[48] تروى القصة عن ملك لإحدى البلاد أراد من ابنه أن يختار زوجة له من نساء القصر، ولكنّ الأمير الذي سئم من جميلات القصر آثر البحث عن فتاة ذكيّة، ولكي ينجح في اختيارها قرّر أن يجري مسابقة في سرد القصص، والفائزة من بين النساء تكون زوجته المختارة. وتكون المفاجأة بأن تفوز امرأة ليست ذات جمال وترتدي ملابس بسيطة، ولكنّها تبهر الأمير بذكائها واستطاعتها على سرد حكاية تبدأ وتنتهي بالمستحيل تملأها المفاجآت. تتقدّم الفتاة إلى محضر الأمير "وقبل أن يشير إليها الأمير بالكلام، بدأت حكايتها بدونِ سلام"، ثمّ قالت: "دعيتُ إلى زفاف جدّي وجدّتي، غنيتُ ورقصتُ كثيرًا من فرحتي، بدا الذهول على وجه الحضور، وكسا وجه الأمير بعضُ الحبور. أهدوني بيضة كبيرة ملساء، حجمها تقريبًا كقبّة السماء، حملتُها بخفة وركضت نحو الدار، أقذفها مرة بيميني ومرة باليسار، وقعت البيضة على الأرض بلمحة عين، وانقسمت تمامًا إلى نصفين، وخرج منها ديكٌ كلّه ألوان، قويٌّ وكبيرٌ كأنّه حصان، فرحت وقلت: سأنتقل عليه من مكان لمكان، وأسافرُ على ظهره إلى كلّ البلدان، وقضيتُ وقتًا طويلاً على ظهره في السفر، من مدينة، لجبلٍ، لجزيرةٍ، لبحر. ولم أنتبه لتقرح أصابَ ظهره، وتعجبت لطول بالِه وصبرِه".[49] وتقول القصّة بأنّ الراوية تعثر على مدينة على قمّة إحدى أشجار النخيل، كما تدخل إلى سوق في إحدى ثمار البطيخ المزروعة في إحدى الحقول السحريّة. وبعد المغامرة في سلسة من المفاجآت المتتابعة، يُحكم على الراوية بوضعها في فوّهة مدفع جزاءًا لها على شدّ حمار من ذيله، فيطلقها المدفع لتصل إلى القلعة المواجهة للأمير. بسبب هذه المبالغات العجيبة والمتسلسلة التي أثارت الضحك لدى الأمير الذي استمع إلى الحكاية قرّر الزواج من هذه الفتاة.

[48] سونيا النمر، **قصة أولها خيال وآخرها خيال** (رام الله: مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي، 2002).

[49] **ن. م**.: ص 10-13.

فكاهة الجنس لتجاوز الممنوع

يعتبر الجنس من المواضيع المحرمة في عالم الأطفال ويمنعون من الحديث عنها أو الالتفات إليها؛ فيحاول الأطفال بلا وعيهم تجاوز هذا الممنوع من خلال اللجوء إلى النكتة مثال النكتة التالية: تزوج فيل من نملة وتشاجر معها ذات يوم فقال لها سأطلقك... فردت عليه مستغربة: "عزّا والفيل اللي ببطني"! هذه الفكاهة تسمح للطفل أن يتطرق للجنس (الحمل) دون أن يغضب أحدًا. وفي قصة ماذا ابتلعت أمي؟ لعواطف بصيص أبو حيّة[50] نجد موضوع الحمل موضوعًا مركزيًا قدّمته الكاتبة بأسلوب فكاهي برز في عدّة مقاطع نورد منها المقطع التالي: في المساء عاد والد وسام من عمله وعندما رآه وسام قال له: "أبي، أمي ابتلعت طابتي ولا تريد أن تخرجها من بطنها، انظر إلى بطنها يا أبي، انتفخت من الطابة". ضحك الأب لسماع اتهام وسام وقال: لا يا ولدي إن في بطن أمك طفلةً صغيرةً ستخرج من بطنها بعد عدة أسابيع، كما خرجت أنت"[51]. ويستمر اتهام وسام لأمه بأنها تبتلع ألعابه كلما انتفخ بطنها أكثر. يثير هذا القول لدى الأطفال الضحك من وسام لأنهم يعلمون أن الأم تحمل جنينًا وليس كرة أو ألعابًا. وعندما تعطي الأم لابنها في نهاية القصة كرة جميلة بعدما أنجبت طفلتها يظن وسام أن الكرة الجديدة كانت في بطن أمه فيقول لها: حمدًا لله أنك ابتلعت هذه الطابة، لأنها أجمل من طابتي القديمة بكثير"[52]. هذا التصرف الفكه من الأم أو وسام يثير الضحك عند الأطفال لأن تفكير وسام بعيد عن الحقيقة التي يعرفونها وهم أذكى منه مما يعطيهم الشعور بالنضوج والاستعلاء. كما أن تصرف وسام وانتفاخ بطن الأم يداعب المكبوت الجنسي في داخلهم وهو ما يشبه الإثارة لعقلهم الباطني مما يثير الضحك لديهم.

[50] عواطف بصيص-أبو حية، **ماذا ابتلعت أمي** (بيت بيرل: مركز أدب الأطفال، 2005).

[51] ن.م، ص 16-17.

[52] ن. م. ص 24.

تجدر الإشارة إلى أنّ كلّ كلمة أو حدث يلفت الانتباه للأعضاء الجنسية من شأنه أن يثير الفكاهة لدى الأطفال لأنّه يعبر عن المقموع الجنسي في داخلهم. ففي قصة الرّقصة العجيبة المذكورة سابقًا ورد المشهد التالي:" أرادت "ماما" أن تساعد باسم فطلبت منه ألا يؤجل دخوله الحمام عندما يشعر أنه في حاجةٍ إلى ذلك حتّى يستطيع أن يعمل الـ pipi هناك. لكن باسم لم يهتم لكلام "ماما". وتكرر ما حدث معه مرّةً ثانيةً وثالثةً ورابعة. فصارت تراقبه وعندما تلاحظ أنه بدأ يرقص رقصة الـ pipi كما سمتها، تصطحبه إلى الحمام على الفور"[53]. رقصة الـ pipi المضحكة من المشاهد الفكاهيّة لأنها تتعلق بتبول الأطفال وهي مرحلة مروا بها في صغرهم لكنّهم تجاوزوها لاحقًا مما يمنحهم الشعور بالانتصار على ظاهرة التبول. والتبول يرتبط كذلك بالأعضاء الجنسية عند الإنسان ممّا يُثير المكبوت الجنسي عند الأطفال ويدفعهم إلى الضحك. وفي قصة القرد الشره للكاتب سهيل كيوان ترد كلمة "قفاه" في وصف القرد الشره جوجو عندما يسقط: "وعندما أراد أن يتأرجح انقطعت الأرجوحة به وسقط على قفاه فضحكت منه القردة"[54] هذه الكلمة من الكلمات التي يحظر استعمالها في حياة الأطفال اليومية على اعتبار أنّها كلمة جنسية يخجل الطفل من ذكرها، والخجل من تداول هذه الكلمة موجود في عالم الكبار للسبب ذاته أيضًا.

وتعتبر الثياب الداخلية، في السياق ذاته، سواء ذكرت بالاسم أو مُثّلت بالصور مصدرًا للضحك في أدب الأطفال. ففي قصة "أسرار صندوق الأزرار" للكاتبة مريم حمد تخبر الجدة حفيدتها زهرة لماذا تخفي الأزرار الملونة في الصندوق الصغير، وتتطور أحداث القصة فتكتشف زهرة أن ثوب الجدة الفلسطيني ليس له أزرار، عندها" ضحكت زهرة، وعانقت جدتها قائلة: آه يا جدتي! فهمت فهمت، سروال جدي له دكة، وليس له أزرار، وقمبازه الفلسطيني له قيطان، يربط أحد طرفيه بالآخر، أيضًا بلا أزرار..."[55]

[53] سناء شباني، مصدر سابق، ص 9.

[54] سهيل كيوان، **القرد الشره** (حيفا: مركز أدب الأطفال، د. ت).

[55] مريم حمد، **أسرار صندوق الأزرار** (حيفا: مكتبة كل شيء، 2009).

العيوب النفسية

الفكاهة التي تتطرق للسلوكيات الخاطئة منتشرة في القصص ذات الطابع الفكاهي وذلك بقصد التأديب والحضّ على الالتزام بالأخلاق والقيم المختلفة. من العيوب النفسية التي تعالجها الفكاهة نذكر الطمع والشراهة باعتبارهما ظاهرتين منتشرتين في المجتمع الإنساني يحاول أدب الأطفال كجهاز تربوي النهي عنهما من خلال التفكّه حول الذين يسلكون في دروب الطمع والشراهة وتشبيههم أحيانًا بتشبيهات مضحكة من أجل ردع الآخرين عن الحذو حذوهم والنهج على مسالكهم. من القصص التي تناولت الطمع والشراهة قصة القرد الشره المذكورة آنفًا. تنهى جوجو الحيوانات عن أكل المزيد من الموز لأنّ صاحب البستان سيغضب عندما يرى الأطنان من الموز ويعثر على القشور ملقاة على الأرض، ولكنّ جوجو لا يأبه بكلام رفاقه: "لا...لا يهم قال جوجو. عندما يأتي الإنسان سأهرب إلى قمة الشجرة، وواصل جوجو التهام الموز واستمر كرشه بالانتفاخ وصار وزنه يزداد حتى أصبح مثل البرميل الممتليء بالمال أو التراب، وعندما أراد أن يتأرجح انقطعت الأرجوحة به وسقط على قفاه فضحكت منه القردة، وعندما جرت القردة لتتسابق، بقي جوجو مكانه غير قادر على الحركة."[56] بسبب سلوك جوجو ينتفخ بطنه ولا يستطيع الركض فيقبض صاحب البستان عليه ولا يتخلص من قفصه إلا عندما يخفف وزنه ويخرج من بين القضبان ليعود إلى غابته.

المفارقة أو التنافر

تظهر المفارقة في قصص الأطفال من خلال سلوك الشخصيات المفارق للواقع الذي يدركه الطفل مثال لبس الوالد قبعة ملونة من الورق، أو أن تتلفظ أمه على مسامعه بأصوات غريبة مضحكة، وتقليد الوالدين لحركات الطفل التي تكون باعثا له على الضحك أوالمحاكاة والتقليد، وكلّها لا تخرج عن كونها نوعا من اللعب الذي هو في حدّ ذاته جو ملائم للضحك عند الأطفال[57]. ومن الأمثلة على هذا النوع من الفكاهة سلوك الجدّة المضحك في قصة جدتي والدراجة التي

[56] سهيل كيوان، مصدر سابق.

[57] زكريا إبراهيم، مرجع سابق، ص 33-34.

يزين غلافها صورة جدة تضع طنجرة على رأسها بدلاً من الخوذة، وتصف الكاتبة هيفاء زهران هذا المشهد في القصة بما يلي: " قالت جدتي باهتمام: لقد أعجبتني فكرة الخوذة جدًا يا رامي. أظن أن هذا الوعاء المعدني قد يحمي رأسي لو تعرضنا لحادث ما. قلت: نعم يا جدتي، لكن يجب أن يكون محكمًا في وضعه فوق الرأس تمامًا[58]". ففي الواقع يجب أن تلبس الجدة خوذة عند ركوبها دراجة رامي لكنها لا تملك مثل هذه الخوذة فتلبس بديلاً لها طنجرة مما يحدث المفارقة ويثير الفكاهة عند الأطفال.

هذه المفارقة نجدها ايضًا في قصص الحيوانات والحشرات التي تحاكي الإنسان في مظهرها أو سلوكها. من هذه القصص قصة "الدودة ودودة" المذكورة آنفًا: "وضعت الدودة ودودة نظارتها الشمسية واعتمرت قبعتها وأخذت شنطتها ثم أطلت من باب بيتها وقررت: سأخرج في نزهةٍ"[59]. ثم تتطور أحداث القصة في خضم مغامرات الدودة ودودة التي ينقلها الكاتب بأسلوب فكاهي ممتع، ومن المفارقات المضحكة في النص أنّ الدودة ودودة تشرب من زجاجة الماء وبعد ذلك تضعها في حقيبتها،[60] أو عندما تلعب الدودة لعبة "نط الحبل".[61] وضمن سلسلة الحيوانات الظريفة يقدم لنا الكاتب مصطفى مرار قصة الدب الراقص الذي يرتدي ثيابًا بشرية مختلفة كثياب الرقص والنوم. وفي بداية القصة تقول السيدة دبة لزوجها سكّر: "أنت يا سكّر راقص شاطر وموهوب فلماذا لا تقيم حفلة رقص كبرى وتدعو إليها كل أصدقائنا الحيوانات؟"[62] تدور كلّ أحداث القصة حول الحفلة التي يصبح الدب فيها نجمًا بشهادة من الطاؤوس المنافق. يجد القارئ أنّ سلوك الحيوانات كلّه في القصة تقليد لسلوك البشر مما يفرض المفارقات على امتداد أحداث القصة كلّها.

---

[58] هيفاء زهران، **جدتي والدراجة** (عمان: دار المنهل، 2008)، ص 16.

[59] أحمد سليمان، مصدر سابق، ص 2.

[60] ن. م.، ص 9.

[61] ن.م.، ص 16.

[62] مصطفى مرار، **الدب الراقص** (كفر قرع: دار الهدى للطباعة والنشر)، ص 2.

التقليد المضحك

تقليد الكبار أو الآخرين سلوك محبّب عند الأطفال لأنّه يمنحهم فرصة الضحك من الكبار من خلال تقليد تصرفاتهم وكلامهم وهذا يمنحهم فرصة الانتصار على عالم الكبار. في كثير من الأحيان يتحوّل التقليد إلى شكل من أشكال اللعب عند الأطفال. والتقليد له عدّة دوافع من أهمّها:

أ. حب الشخصية أو الشيء المقلد، والرغبة في التوحّد معها من كثرة حبه وإعجابه بها، مثال تقليد ممثل أو شخصية تلفزيونية محبوبة ومضحكة كشخصية النمس في المسلسل السوري باب الحارة والتي حفظ الأطفال سلوكها وحركاتها عن ظهر قلب.

ب. اتخاذ موقف سلبي من الشخصية ومحاولة إبراز عيوبها مثال تقليد الكذابين أو ممن يعانون من الشراهة في الأكل من خلال تقليد طريقة أكلهم.

ج. إرتداء ثياب غير مناسبة للعمر أو الجيل بهدف تقليد الكبار أو أصحاب المهن، مثال الشرطي، الطبيب، ثياب الأب، ثياب الأم. وهذه المفارقة تضحك الأطفال لأن الجيل لا يلائم المهنة.

د. إرتداء أقنعة أو ملابس مضحكة أو أشكال مُضحكة فيها تقليد الحيوانات بهدف الإضحاك والتفكّه والمتعة.

والتقليد من أمثال ما ذكرناه يُمكننا لمسه في قصة "حارة ستوتة" للكاتب صالح طنطاوي.[63] ستوته طفلة ظريفة ولكنّها تحب دائمًا أن يهتمّ بها الناس، ويعجبوا بها. وفي يوم من الأيام لبست ملابس أبيها التاجر وخرجت إلى الشارع؛ فضحك عليها الأطفال جميعًا. وفي اليوم التالي لبست ملابس عمها رجل الشرطة وفي اليوم الثالث لبست ملابس أمها وبرقعها وكان الأطفال يضحكون منها في كل مرة كانت تتزيّ فيها بملابس مختلفة. لكنّ في النهاية وعندما تقوم ستوته بعملٍ نافعٍ لا يضحك منها أحد، ويسمي أهل الحارة حارتهم باسمها لأنّها افتتحت دكانًا رخيصًا للأطفال. يمكننا أن نضيف أيضًا في سياق التقليد حب الأطفال لتقليد المهرجين مثل لبس قناع المهرج أو القيام بحركات استعراضية مضحكة كما جاء في قصة المهرج ونورا حيث شاهد سمير

[63] صالح طنطاوي، مصدر سابق.

ونورا سيركًا فأحبا المكان ورغبا بالعمل فيه، وحاولا تقليد المهرج في رمي الخشبات الملونة في الهواء أو التدحرج على كرة مما أوقعهم في مواقف مضحكة[64]. ومن مظاهر التقليد أيضا تصرف الحيوانات أو غيرها من الكائنات تصرفات تختلف عن تصرفاتها العادية في بيئتها الطبيعية أوتقليدها للبشر مما يخلق حالة من التناقض التي تبعث على الضحك، ومن الأمثلة على هذا السلوك قصة "فلفل" في المدينة للكاتبة سميرة الصايغ:" تتحدث القصة عن القرد فلفل تشتريه سيدة من صديقه الحيوان وعندما يسير معها في المدينة يجلب لها الكثير من المتاعب وعندما عادت به إلى البيت أخرج كل ما في الخزائن من أغراض، ونثرها على الأرض. وجد ثيابًا نسائية، لبسها ...وجد حذاء ذا كعب عالي، انتعله، رأى علبة، فتحها. وجد فيها حليًا، وضع حلقًا في أذنيه وعقودًا حول عنقه. أخذ أصبع أحمر الشفاه وصبغ به وجهه.ثم راح ينط على السرير أمام المرأة. ولما جاءت الخادمة ورأته على تلك الحالة، لم تتمالك نفسها من الضحك"[65]

آلية سقوط كرة الثلج

آلية سقوط كرة الثلج من المفاهيم التي قصد بها هنري برجسون النظام الآلي الذي يبدأ بسقوط شيء ما يليه سقوط أشياء أخرى، والمثال التالي يُبيّن المقصود: يدخل زائر مسرعًا إلى قاعة، فيدفع سيدة تحمل قدحًا من الشاي، فيسقط قدح الشاي على رجل مسن، فيرتد هذا إلى الوراء فيصيب زجاج النافذة فيسقط الزجاج على شرطي، فيدعو هذا رجال الشرطة إلى نجدته ...الخ"[66]. نموذج آلية سقوط الثلج من مصادر الفكاهة في قصة جدتي والدراجة للكاتبة هيفاء زهران التي يحضر فيها المشد التالي: "وعندما حاولت الالتفات، انحرفت دراجتي عن الطريق، وارتطمت بحجر كبير، وانزلقت عجلاتها بسرعة ولم استطع التحكم بها. طرت في الهواء لمحت جدتي نوّارة ...تطير في الهواء أيضًا."[67]. إذا أردنا ترتيب تسلسل الاحداث في هذه الفقرة

[64] د.م، **المهرج ونورا** (بيروت: دار الشرق العربي، د.ت).

[65] سميرة الصايغ، **فلفل في المدينة** (بيروت: منشورات الشاطر حسن ، 1992) .

[66] برجسون، مرجع سابق، ص58

[67] هيفاء زهران، مصدر سابق، ص 22.

سيكون نظامها وفقًا لما يلي: أ.انحراف الدرّاجة وانزلاقها، ب.طيران رامي في الهواء ج.فقدانه السيطرة على الدراجة د. سقوط الجدة بصورة مضحكة إلى جانب رامي. من المنطق أيضًا أن تساهم الرسومات التي تظهر الجدة وهي تطير وتسقط على الأرض في المزيد من إثارة جو الفكاهة عند الأطفال الذين ما زالوا يعتمدون على الثقافة البصرية كثيرًا باعتبارها وسيلة للحكم على الأشياء وتذويتها في عالمهم. ومن أبرز القصص في هذا المضمار قصة "جدي أبو سمير والجزرة" وهي قصة معروفة أعادت صياغتها الكاتبة نيفين عثامنة. تدور أحداث القصّة حول الجد الذي يعثر على جزرة وعندما حاول اقتلاعها "وقعت الجزرة الكبيرة على جدي "أبو سمير" ووقع جدي أبو سمير على جدتي ووقعت جدتي على الولد الصغير ووقع الولد الصغير على البنت الصغيرة ووقعت البنت الصغيرة على الكلب ووقع الكلب على القطة السوداء ووقعت القطة السوداء على الفأر الصغير. ثم قاموا جميعًا، وبدأوا يضحكون. ضحكوا وضحكوا وضحكوا."[68]

الخلاصة

لم يكن الأدب الهازل، المستقى في غالبيته من المأثور الأدبي العربيّ القديم، ملائمًا لفئة القراء من الأطفال واليافعة. كان هذا الأدب، بشتّى أساليبه ومضامينه المختلفة، موجهًا أساسًا للكبار لذلك لم يراع واضعوه مختلف المبادئ الفنيّة التي غالبًا ما تظهر في المؤلّفات الموجّهة للأطفال. لكن ضمن محاولات النهوض بأدب الأطفال منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، التفت بعض كتّاب أدب الأطفال إلى الأدب العربي القديم ليستخلصوا منه مضامين جديدة تلائم قراءهم الصغار؛ فانتقوا منه المضامين الفكاهية باعتبارها مادة أدبية تلائمهم بعد تهذيبها وصقلها في قوالب فنية تتفق مع خصائص أدب الأطفال الفنّيّة. ابتكر أدباء أدب الأطفال، فضلاً عن ذلك، مضامين فكاهية جديدة مستمدة من عالم الطفل وبيئته والتي تنسجم مع مفاهيم العصر وأصول التربية الحديثة. مما لا شك فيه أن العناصر الفكاهية والتراكيب والصياغات اللغوية الفكاهية وليدة العصر الذي ظهرت فيه وانتشرت مما قد لا يؤهلها لتكون مادة فكاهية تنسجم مع ثقافة أو عصر آخر. لكن هناك عناصر فكاهية قد تكون

[68] نيفين عثامنة، **جدي أبو سمير والجزرة**، د.م.: د.ن.، د.ت.

مناسبة للأطفال في كلّ العصور وفي كلّ الثقافات مثال عنصر المفاجأة واللامنطق والغباء وغيرها لأنها تخاطب عقل الطفل الباطني أينما كان. على الرغم من اهتمام بعض الكُتَّاب لمادة الفكاهة وتوظيفها في أدب الأطفال العربيّ إلا أنّ هذا الأدب ما زال خاضعًا لِلْجِد بشتّى أشكاله وأبرز مثال على ذلك سيطرة المضامين الوعظيّة والتربويّة التي غالبًا ما تفقد هذا الأدب طابع المرح والفكاهة. نتيجة لما ذكرناه سالفًا وبالاعتماد على النماذج الأدبيّة التي قرأناها، يُمكننا القول إنّ أدب الأطفال العربيّ ما زال يفتقد للجنس الأدبي الأدب الهازل، وتظلّ محاولات الأدباء في هذا الشأن محصورة باستلهام مضامين فكاهية مستمدّة من الأدب العربيّ القديم وصياغتها بعد تهذيبها في نسيج النصّ الأدبيّ الموجّه للأطفال، أو توظيف عناصر فكاهية بين الفينة والاخرى في بعض النصوص التي ظلت على هامش الأدب ولم تنجح حتى الآن بتشكيل تيار فكاهي فيه. ما زال هذا النصّ الأدبيّ الملتفت إلى الفكاهة يثير أسئلة نقديّة متعدّدة حاولنا في هذا المقالة أن نجيب عن بعضها مثال استعراضنا لبعض ملامح الفكاهة فيه، وتبقى مسائل أخرى معلّقة نرجو أن يستأنف البحث الحديث معالجتها بعمق واستفاضة.